مقياس: مدخل إلى تاريخ الجزائر. د.جلامة عبد الوحيد.

السداسي: الأول.

سنة أولى جذع مشترك علوم إنسانية.

م5: الاحتلال الوندالي ومقاومته.

أولا: التعريف بالوندال.

ثانيا: أسباب الاحتلال الوندالي.

أ–صعوبات الاستقرار بالجانب الأوروبي.

ب–محفزات الاستقرار بالجانب الإفريقي.

ثالثا: مسار الاحتلال الوندالي:

أ–في أوروبا.

ب–في إفريقيا.

رابعا: المقاومة المحلية للاحتلال الوندالي:

أ–ثورة الأوراس.

ب–ثورة الجمالة.

ج–ثورة انطلاس.

خامسا: نهاية الوندال.

الإشكالية:

لماذا لم يستقر الوندال في الجنوب الغربي من أوربا الذي اجتاحوه في المراحل الأولى مند وصولهم إلى المنطقة؟

ما هي الأسباب التي كانت تحرك رغبتهم في الاستيلاء على بلاد المغرب؟

لماذا لم يذهبوا مباشرة إلى هدفهم المتمثل في الاستيلاء على مدينة روما ما داموا يسعون لذلك منذ البداية؟

ما هي الصعوبات التي حالت دون ذلك؟

هل الأسباب التي دفعتهم للاستيلاء على بعض أجزاء من شمال إفريقيا كانت هي الهدف المقصود، أم أنها كانت وسيلة لأهداف أخرى كانت أكثر أهمية منها؟ وهل تحقق لهم ذلك؟

أولا: التعريف بالوندال:

ارتبطت تسمية ومدلول كلمة "الوندال" في عديد اللغات الأوروبية؛ بالتدمير الوحشي والهدم والتخريب والإتلاف والعدوانية، أما أصل التسمية وحسب التفسير الطبونيمي، فيذكر الباحث "كورتوا""ch. Courtois" أن اسم الوندال مشتق من اسم قرية سويدية تسمى "فاندال" "Vendel" والتي تعتبر حسبه الموطن الأصلي لهم.

وفيما يخص أصل الوندال فقد اختلفت فيه الروايات التاريخية، وفي هذا الشأن يذهب الباحث "محمد البشير شنيتي" واعتمادا على ما أورده المؤرخ الروماني "بلين القديم" "Pline L'ancien" في "كتابه التاريخ الطبيعي، م4"؛ بأن الوندال قوم من الجرمان جاوروا الحدود الرومانية الشمالية الممتدة بين نهري الراين والدانوب حوالي القرن الرابع قبل الميلاد وأصلهم من اسكندنافيا استقروا بألمانيا بعد ان نزحوا أواخر الألف الأولى قبل الميلاد نحو جنوبي بحر البلطيق.

ثانيا: أسباب الاحتلال الوندالي:

أ-صعوبات الاستقرار بالجانب الأوروبي:

فسر عديد المؤرخين أسباب عدم استقرار الوندال بأوروبا وأرجعوها إلى ما يلي:

*عدم استقرار الوندال بإسبانيا أرجعه المؤرخون إلى المواجهات والصراعات المستمرة بينهم وبين الرومان وأيضا مع القوط، وهذا ما جعل المنطقة غير آمنة للاستقرار.

*خراب ونهب اسبانيا بسبب سياسة النهب والبحث عن الثراء التي اتبعها الوندال وأيضا بسبب الصراع مع القوى المحلية المدعومة من روما، إذ أصبحت المنطقة فقيرة ولا تلبي تطلعات واحتياجات الوندال.

*ظهور أزمة اقتصادية حادة بروما؛ جراء تراجع وتدني وتدبدب الإنتاج الزراعي، خصوصا منتوج القمح المستورد من إفريقيا الذي شهد نقص كبير جدا، مما خلف ندرة في الغذاء أدت إلى ظهور مشاكل اجتماعية خطيرة زادت حدتها بعد الهزائم العسكرية المتعددة لروما.

ب–محفزات الاستقرار بالجانب الإفريقي:

من أهم محفزات الاحتلال الوندالي لشمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة ما يلي:

*غنا منطقة بلاد المغرب زراعيا (القمح الزيت)، حيث عمل الوندال على السيطرة عليها من أجل حصار روما اقتصاديا.

*دراية "جنسريق" "Genséric" بأحوال بلاد المغرب المضطربة خصوصا في العهد الأخير لروما، بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، جراء ظهور الفوضى والاضطرابات السياسية (ثورة بونيفاس) بسبب سياسة الضرائب وانتشار الفقر وزيادة العداوة لروما من طرف السكان المحليين؛ جعله يستغل الوضع للتوسع ببلاد المغرب.

*رغبة السكان المحليين في التعاون مع أي طرف يمكنهم من تحقيق الاستقلال عن الرومان؛ وفي هذا السياق ليس مستبعد أن الطرفان (الوندال والمور) قد اتصلا ببعضهما –وهذا ما يفسر عدم اعتراض الوندال أثناء مرورهم عبر الأراضي الموريطانية–، ولا يستبعد اتصال الدوناتيين بالوندال من أجل الانتقام من الكاثوليك.

*رغبة الوندال في جعل بلاد المغرب قاعدة عسكرية استراتيجية من اجل الوصول إلى العاصمة الرومانية مع استغلال الإمكانات الافريقية.

ثالثا: مسار الاحتلال الوندالي:

أ–في أوروبا:

انطلاقا من ضفاف بحر البلطيق ومن أعلى نهر "ثيس" "Theis" ومع نهاية القرن الثاني الميلادي؛ كان أول تحول للزحف الوندالي نحو إقليم "ريتيا" "Raetia" ثم نحو منطقة "الماين" "Main" (رافد من روافد نهر الدانوب)، لكن وبسبب الصراع بالمنطقة وعدم الاستقرار، عبرت القبائل الوندالية نهر الراين فسيطروا في طريقهم على عديد المدن منها: مينز"Mains"، تريير "Trier"، ريمز "Reims"، أمينز "Amiens"، أراس "Arras"، ثورناري "Tournary"، وبعد هذه السيطرة توسعت القبائل الوندالية غربا حيث تمكنوا من عبور نهر السين "Sein" ثم نهر الكوار "COIR"، وبعد هذا التوسع توجهوا تحت قيادة "جندريك" نحو مدينة "بوردو" وعبروا جبال البرانس ثم توجهوا جنوب اسبانيا وتمكنوا من السيطرة على مدينة بيتيكا، ثم

مدينتي "قرطاجنة" و"اشبيليا" سنة 425م وفي نفس الوقت فرضت السيطرة الوندالية على كل الجزر القريبة من الساحل الإسباني وهي التي سوف تتخذ فيما بعد كقواعد لغزو سواحل شمال إفريقيا.

ب–في إفريقيا.

بعد أن "جندريك" توحيد القبائل الوندالية تحت حكمه؛ عين عليها ملكا إلى غاية وفاته سنة428م، كما عرف عهده باستكمال السيطرة على كامل الجنوب الاسباني، وبعد وفات هذا الأخير تم تعيين أولاده وهما "جنسريق" و"جونثاريس" (الأخ الصغير) كملوك على الوندال.

كما تزامن مع تعيين الملوك الجدد؛ ظهور اتصالات جمعت بين الملوك الوندال ووالي مدينة سبة "بونيفاس"[1]، مفادها تقسيم حكم شمال إفريقيا بين الملوك الثلاثة حيث يحصل كل ملك على 3/1 من أراضي شمال افريقيا وفي حالة وجود تهديد خارجي لابد على الملوك الثلاثة الوحدة من أجل مقاومته.

والظاهر أن "جنسريق" استغل هذا الاتصال، إذ حصل على تسهيلات وعديد الوسائل التي تمكن الملك الوندالي من العبور إلى السواحل المغاربية، حيث تمكن من ذلك سنة 429م؛ بعد نجاح الوندال من العبور إلى مدينة طنجة (قدر عددهم المؤرخون بحوالي 80 ألف وندالي) وسيطروا عليها ثم سيطروا على مدينة الغزوات ومدينة تازة وصولا إلى مدينة ألتافا في شهر جويلية أين وقع أول صدام عسكري مع الحامية الرومانية انتهى بسيطرة الوندال على المدينة في شهر أوت 429م، وبعد هذه السيطرة سلك الوندال ثلاث طرق رئيسية شرقا تجاه مدينة قرطاجة؛ فالطريق الأول كان عبر المناطق الساحلية بمحاذاة الساحل، والطريق الثاني كان عبر تتبع خط الليمس الوهراني وهو طريق داخلي والطريق الثالث عبر الهضاب العليا الموالية لوادي الشلف ووادي الصومام.

واثناء عملية التوسع تمكنوا من احتلال العديد من المدن؛ من أهمها: مدينة عنابة سنة 431م وقرطاجة سنة 439م، وتعد سنة 455م سنة السيطرة الكلية على شمال افريقيا خصوصا بعد ظم منطقة طرابلس للحكم الوندالي.

[1]قام مجلس الشيوخ الروماني بعزل الكونت بونيفاس والي سبتة عام 427 ميلادية بعدما توجسوا منه محاولة الإنفصال عن الإمبراطورية الرومانية ، خاصة بعد اتصاله بالوندال و بنائه لعلاقات سياسية مع جنسريق ملكهم في إسبانيا . وبالفعل تمرد بونيفاس وطلب المعونة من الوندال الذين اغتنموا الفرصة وعبروا مضيق جبل طارق وغزوا الشمال الإفريقي.

رابعا: المقاومة المحلية للاحتلال الوندالي:

أ-ثورة الأوراس 477-484م:

تشجع المغاربة مع بدايات الاحتلال الوندالي لمنطقة شمال إفريقيا حيث أيدوهم وناصروهم خصوصا في حربهم ضد الرومان، لكن وما إن هزم الرومان وطردوا من شمال إفريقيا زالت المصلحة القائمة بين الطرفين، فسرعان ما أبان الوندال عن نواياهم التوسعية ضد السكان المحليين -خصوصا بعد وفاة ملكهم "جنسريق سنة 477م"- بعد أن اعتلى "هنريق 477-484م" عرش ملك الوندال والذي اتبع سياسة مغايرة لسياسة ابيه "جنسريقّ"، فترتب عن هذه السياسة الجديدة ما يلي:

* مصادرة ممتلكات البربر.

* ارهاق كاهل البربر بالضرائب بعد أن خففت عليهم من قبل.

*حرمان البربر من امتلاك أرضي زراعية خصبة.

*اتباع الوندال سياسة النهب والسلب في حق البربر.

*اتهاج البربر سياسة التشدد والتعصب الديني لكل ما هو معارض للمذهب الأريوسي (الكاثوليك والدوناتيين).

*المجاعة والقحط الذي أصاب الأماكن القريبة من الحكم الوندالي (يتحمل الوندال جزء من المسؤولية بسب سوء التسيير الزراعي والفلاحي).

وكل هذه الأسباب وآخرى؛ ساهمت في ظهور ثورة سكان "الأوراس ضد الوندال تحت قيادة "يابداس" "Iabdas"، ومن نتائج هذه الثورة:

*أبانت الثورة عن ضعف الوندال فلم يستطيعوا القضاء على الثورة.

*تعتبر الثورة اول ثورة ضد الوندال والتي تمكنت من زحزحت مكانة الاحتلال بالمنطقة.

*اعتبرت ثور الأوراس الشرارة الأولى التي أدت فيما بعد إلى ظهور العديد من الثورات؛ كما انها ساهمت في ظهور بعض الكيانات المحلية المستقلة.

*تمكن سكان الأوراس من التوسع على عديد المدن منها: مدينة تبسة "Theveste" وتيمقاد "Thamgad" وقصر بغاي"Bagai"، لمباز "Lambes"، كما وصلوا إلى حدود مدينة سيرتا "Cirta".

ب–ثورة الجمالة سنة 523م:

بعد فشل الوندال في القضاء على ثورة الاوراس؛ اندلعت ثورة أخرى في نواحي "جبال نفوسة" "وطرابلس" قادتها قبائل الجمالة بزعامة القائد" كاباون" Cabaon"؛ الذي استعمل في حربه لأول مرة الجمال واعتمد أيضا على حرب الكر والفر، واندلعت هذه الثورة سنة 523م زمن حكم الملك الوندالي "تراسموند" Thrasamund" 496-523م، إذ حاول هذا الأخير القضاء على الثورة لكنه فشل وتعرض لهزيمة قاسية على يد السكان المحليين، وقد اعتبر المؤرخون هذه الثورة بداية نهاية الحكم الوندالي في منطقة شمال إفريقيا.

ج–ثورة انطلاس 530م:

ظهرت هذه الثورة بمنطقة المزاق التي كانت خاضعة لحكم الوندال زمن حكم الملك "هونريك"؛ إذ تزعم هذه الثورة القائد "أنطلاس"؛ بدأت هذه الثورة بمهاجمة الجنوب التونسي وصولا إلى المدن الساحلية لمنطقة المزاق؛ خصوصا بعد انكسار الجيش الوندالي، وتذكر المصادر التاريخية أن "أنطلاس" تحالف مع الملك "ثيوديريكّ""Thioderic" ملك القوط الشرقيين وأيضا تحالف مع قبائل مور طرابلس، كما تزامن ظهور هذه الثورة مع بداية التدخل العسكري البيزنطي بقيادة "جوستينيانوس" ومن نتائج هذه الحرب عزل المللك هونريك وتعويضه بأخر ملوك الوندال "جيلمار".

خامسا: نهاية الوندال:

بعد انكسار الوندال على يد الثوار المحليين خصوصا ثورة أنطلاس سنة 530م والتي خلفت ورائها ظهور أزمة سياسية داخل العرش الوندالي انتهت بظهور انشقاق بين الوندال، وهذا ما ساعد البيزنطيون المتربصون بمنطقة شمال إفريقيا باعتبار انفسهم الوريث الشرعي لمستعمرات روما القديمة وحماة للمسيحية الكاثوليكية المضطهدة من طرف الوندال، ومن أجل تجسيد خطة التوسع واحتلال المنطقة عقد البيزنطيون معاهدة صلح مع الفرس بهدف التفرغ لشمال افريقيا، حيث ارسلوا جيشا قوامه حوالي 15.000 مقاتل خرجوا من القسطنطينية تجاه شمال افريقيا إذ تمكنوا بمساعدة سكان المنطقة من القضاء على أخر معقل للوندال بمدينة قرطاجة سنة 533م كما تمكنوا لا حقا من القاء القبض على ملك الوندال "جليمار" سنة 534م وارسل إلى القسطنطينية منهيا معه بذلك الاحتلال الوندالي لمنطقة المغرب القديم وبداية احتلال جديد بقيادة الإمبراطورية البيزنطية.